الصفحة الأدبية

«أنا المدير»

بقلم : اياد عبد القادر يونس

انا •• انا المدير •• اردت اليوم ان أتحدث اليكم بقضيتي • ولست ادري هل هي قضيتي أم قضية الآخرين •• لست اعلم هل هي قضيتي أم قضية الآخرين •• ولا استطيع ان اجزم إن كانت جريمتي ام جرائم الآخرين • وعلى اية حال فساتحدث عنها بشجاعة منقطعة النظير • لا خوف ولا وجل ولا رياء • فالصراحة هي الخصلة الوحيدةالمتبقية بجعبتي • صفة خرجت معي إلى الحياة ولا تزال تلازمني ، وكانت ولا تزال معضلتي التي تثير من حولي على الدوام الكثير من العوائق والحواجز بطريق اهدافي ومخططاتي التي لا حدود ولا نهاية لها •• وانا سعيد بذلك ، وليس هنالك ما اخشاه ابداً • فالظروف لم تعد مهتمة بالتمييز بين الصدق والكذب •• بين الحق والباطل •• بين الفضيلة والرذيلة •• بين الابيض والاسود وكذلك بين الحرب والسلام • قد تكونوا معي بذلك • وسواء أكنتم أو لا ، فلست مهتماً بآرائكم •• بوجودكم •• بظروفكم فانا •• انا المدير •

«الظروف لم تعد مهمة» •• لا •• لا يكفي ذلك •• انها تتعمد خلقها من عناصر متجانسة لتصنع منها مركباً شاذاً لا طعم له ولا لون ولا رائحة •• تلعب تتسلى •• تعبث بالقدرات والمقدرات ، لا اعلم ولا ادري •• هل اتهمها باقتراف الجريمة النكراء ؟ •• المجتمع يقول ذلك •• اتهم نفسي ؟• المجتمع يشهد بذلك •• اتهم الآخرين ؟• المجتمع يعترف بذلك • من الجاني ؟• لا احد يعلم •• من المظلوم ؟• ولا احد يدري •• علام وإلام وكيف ومتى ؟ لا جواب ولا دليل • أتراكم معي ؟•• لست مهتماً برايكم فانا •• انا المدير •

«الأنا» •• الكلمة العظيمة • تحمل بحروفها البسيطة ، اضخم المعاني وافخمها •• الرفعة والمجد •• السيادة والتسلط •• الارادة والعظمة • يتكرها البعض ويسخر لها بحجج واهية •• المنطق •• الحكمة •• الواقع وتجارب التاريخ الطويل •• دعاوى باطلة •• كلمات جوفاء •• يحاربون الكلمة العظيمة •• حسداً وغيرة تحرق قلوبهم الظامئة •• عجزاً وقصوراً في الوصول باقدامهم الكسيحة • لحظات عابرة مع التاريخ الطويل •• ذرات تافهة باعماق الكون الفسيح •• يخرجون للحياة يحملون الجوع والفقر والحقد الاسود والثورة العمياء ويموت بموتهم اليأس وبرائن الشر المستطير •• قد تكونوا معي في ذلك •• لا يهمني رايكم • فانا اتحدث بكامل قواي العقلية واتمتع بابعاد القياس الاربعة •• انا •• انا المدير •

طولي الفارع •• راسي الكبير الاصلع •• بطني المنتفخ على الدوام، سيارتي الفخمة •• ملابسي الانيقة ونقودي الكثيرة•• معلوماتي لا يهتم لها البسطاء من امثالكم ، اما بالنسبة لي فهي وللحقيقة اساس قوة الشخصية التي اتمتع بها ، والكبرياء والهيبة التي اتحلى بها •• سياج منيع يحيط بي من كل جانب •• يلازمني على الدوام في كل حل وترحال •

قد تسالونني اساس ثروتي ؟ • فانا من عائلة عريقة يعود تاريخها لسليمان الحكيم •• تركت لنا الكنوز والضياع والجواري على مر العصور •• اعرف جدي الذي كان من جلساء الباشا ومعارف الصدر الاعظم بالعهد التركي • اما والدي فقد كان من مساعدي ساندروز ايام الانجليز ومخططي جيش الانقاذ عام ثمانية واربعين ومؤيدي الحركات والثورات العربية من المحيط الى الخليج •• ناصرية •• بعثية •• شيوعية •• اسلامية •• فجميعها من أجل الاهداف الوطنية والمصالح القومية •• توفي رحمه الله عام سبع وستين وورثت عنه كل شيء •• حتى الصداقات والشمارات واوسمة البطولة والتضحية •

في المباني العالمية • فانا مع الراسمالية من أجل الديمقراطية ومع الاشتراكية من أجل حركات التحرر العالمية ومع عدم الانحياز من أجل حضارة البشرية •

على الصعيد القومي فانا مع ايران من أجل الثورة الاسلامية ومع العراق من أجل البوابة الشرقية ومع عمان من أجل الاهداف القومية ومع دمشق من أجل الوحدة والحرية ومع القذافي ضد الانهزامية ومع قابوس ضد الشيوعية ومع كل العواصم العربية من راس الخيمة إلى الخرطوم فالدار البيضاء من أجل الاهداف العربية والمصالح القومية والمبادىء الاسلامية وحضارة البشرية •

وفي الناحية الوطنية فانا مع كل التنظيمات والاتجاهات الحزبية •• يمينية •• يسارية •• لا فرق ابداً •• دينية •• سياسية •• عسكرية •• اقتصادية •• لا تمييز ولا ضرر ولا ضرار •• مع الاردن واموال الصمود •• مع مصر ورسم الحدود •• مع التصدي والتحدي وامجاد الجدود•• ستقولون مواقف متباينة ومتناقضات •• ستقولون زوراً وبهتاناً ورابع المستحيلات •• لا تتعجلوا الاجابة وابحثوا عن الحقيقة •• ستجدونها ناصعة كعين الشمس في كل مدينة وقرية •• في كل عاصمة عربية والناس يطبلون للاهداف الوطنية، سترونها بام اعينكم وهم يهتفون للمصالح القومية ورخاء البشرية • الستم معي في ذلك ؟•• لست مهتماً برايكم فانا •• انا المدير •

قد تسالونني مؤهلاتي العلمية ؟• الشهادات الجامعية •• المؤهلات العلمية •• الليسانس والماستر •• طريق العاجزين من الفقراء والمحرومين ، حصلت على الثانوية العامة في المحاولة الثالثة •• وبعد وليمة فخمة اقامها المرحوم ابي ؛ للرئيس والمراقبين •• لا اعرف كيف وصل بتلك السرعة كتاب التعيين ، ولم يمض وقت طويل فقطعت المرحلة الاولى ووصلت الادارة •• وسامضي في الطريق إلى النهاية ، ولن اقبل في المرحلة الثالثة باقل من وزير • فطموحاتي واسعة إلى ما وراء الآفاق البعيدة •• فنحن لا نزال نعيش العهد السلطاني •• ساكون الآمر الناهي • بالعصا •• بالخط الكوفي • ستقولون ايضاً مستحيل لانكم لم تكلفوا انفسكم عناء البحث بقواميس الزعامة العربية والديمقراطية العربية وانظمة الحكم العربية •• مدراء •• وزراء •• ملوك وامراء • هل انتم معي في ذلك•• لست مهتماً برايكم •• فانا •• انا المدير •

عن التاريخ القديم والاوسط والحديث •• احب الفتوحات وامجاد الاباطرة والشخصيات الفذة •• الاسكندر المكدوني •• نيرون روما •• هتلر •• يوليوس قيصر وبروتس •• نبوخذنصر والحدائق المعلقة •• الخلفاء الراشدين وقميص عثمان •• لويس السادس عشر وماري انطوانيت•

وبالجغرافيا فانا مولع بالفلك وارتياد الفضاء •• لغزو الكواكب الاخرى •• الحل والترحال واكتشاف المعالم ورسم الخرائط لكل منتجع ومصيف ومنتزه ••

وفي الادب فانا مغرم بالقصص البوليسية والروايات العالمية •• الف ليلة وليلة •• عنترة وابو زيد الهلالي •• ولا انسى دون كيشوت وستيف اوستن رجل الستة ملايين دولار •• اردت ان اصدقكم القول•• ستقولون جريمة وخيانة بحق الذات والاهل والعشيرة والاوطان •• اعذروني فانا في طريقي من أجل السلطة •• أسالوا رجال القانون •• انها طريق كل الزعماء من عهد الشنفري وامرء القيس إلى عصر نزار قباني ويوسف ادريس• هل انتم معي في ذلك ؟•• لست مهتماً برايكم فانا •• انا المدير •

قد تسالونني عن يومي •• تصل سيارتي ساحة المدرسة قبل دقائق من الجرس الاول •• يتفر التلاميذ لهديرها المرعب •• يمتعض المعلمون للوتها الداكن •• يفتح الاذن باب الادارة •• الشخص الوحيد الذي اكاد اطيقه •• يؤدي تحية الصباح رياء •• يجاملني ويتحدث إليّ نفاقاً •• اكرههم جميعاً •• امقتهم •• يحسدونني المركز والمال الوفير والسيارة الفارهة •• يتمنون موتي وفنائي عن الوجود •• عيونهم تقول ذلك •• همساتهم تشهد بذلك •• تجمعاتهم بالزوايا المظلمة •• لن أدع لهم الفرصة ابداً •• ساواصل الردع العنيد بالايدي الثقيلة •• ارهاب وضغط دائم •• كبت وحساب عسير •• انه العلاج الشافي لمرضهم المزمن •• السبيل الاوحد لبقائي ووجودي وطريقي للمستقبل المشرق والامل الوضاء • سالقنهم الدروس تلو الدروس •• لا يحقدون •• لا يحسدون •• لا يهمسون •• لا يتدخلون فيما ليس شان لهم •• لا ينظرون لما هو اعلى من هاماتهم•• لا يتقدمون ولا يتاخرون ولا يخالفون •• مصالهم تتطلب ذلك وكذلك المصالح الوطنية والقومية ••

«وويل للمطففين» •• «ويل لكل همزة لمزة» آيات قرءانية كريمة وغيرها كثير • زينت لهم الجدران بها •• في محط انظارهم على الدوام •• يطالعونها في كل زمان ومكان •• ليس المهم أن اعرف تفسيراتها المعقدة وآراء الفقهاء بمناسبة كل منها • المهم انها تحمل كل معاني التهديد والوعيد •• والاهم أن يرتدعوا •• ان يكونوا دائماً مع السراط المستقيم •• كما تريد الادارة •• كما يريد القانون واريد انا وانا القانون والادارة • فالمدرسة بكل ما بها •• تلاميذ واسوار •• اشجار واطيار •• ساحات وازهار •• كلها للادارة والادارة لحن • اربع ساعات كاملة امضيها على الكرسي •• الفكر في عمل دائب • وكذلك القرطاس

←

صوت العقيدة

يا شمس نيسان في آفاقنا سقطت ... على الذرى الخضر والازهار تزدان
يا زهرة اللوز والانداء تحضنها ... اريجها البكر فواح وفتان
بين الازاهير في البستان زنبقة ... يحكي شذاها لنا في الزهر ، ديوان
وللرياض ظلال فوقها امل ... وللعنادل في الارواح الحان
وللسنابل فوق الارض ملحمة ... تروى لاهلي ، وفي الاعماق اشجان
اريدك البسمة العذراء ناصعة ... كشمس نيسان ، والاقوال ميزان
على الطبيعة يبدو واينا فلقا ... ولا نحابي كبار القوم من كانوا
لنسال الارض هل لانت سواعدنا ... سواعد السمر ، ام آباؤنا لانوا
لنسال الارض هل هانت عزائمنا ... تحت الثريا ام فتياننا هانوا

• • •

يا متجر السوء ليس الجبن سلعتنا ... ولا بضاعتنا الفك وبهتان
نحن الذين على آلامهم قامت ... تلك المدائن في الدنيا وعمران
نحن الذين على هاماتهم عبدت ... فوق البرية في الصحراء اوثان
لسنا الذين على جبهاتهم نقشت ... وصمة العار ، وفي التاريخ برهان
هل بالاراجيف في الاعلام تنقذنا ... تعود ارض إلى اهلي واوطان
إنا لنسال اهل الارض قاطبة ... ايحفظ العهد للاوطان من خانوا
إنا لنشرب ذلاً من هزائمهم ... حتى كانا في الاقوام عبدان
نحن الذين على احزانهم صمدوا ... رغم الاهانات والاذلال ما هانوا
هذا الذي في الاوطان يشتمنا ... ويعلم الله من في الارض خوان
وجه المنافق اشكالاً يلونه ... وفي النفوس من الامراض الوان
يبدو على الارض عند الله الناس ... وفي الحقيقة عند الله شيطان
بترولهم تغمر الدنيا منافعه ... وشعبهم في فساح الارض جوعان
بترولهم عمر الدنيا بكاملها ... وشعبهم في بحار الجهل غرقان
قل لايران ان تاسو جحافلهم ... فهي الصنيعة ، والاسلام إخوان
قل لايران ان تثنني قيادتهم ... فهي العميلة رغم الافك عميان
كل الحروب تلاشت وانتهت عبثا ... وفي مخالبها موت واذعان
كل الوقائع في التاريخ تنبئنا ... ان الهزائم للاوغاد إدمان
والقادسية جيش الاثم دنسها ... وارق العين تحت اللحد اجفان
في مصر بانت لهم في السلم مفخرة ... وفي العراق مثال فيه خذلان
قلوبنا البيض والايمان يملاها ... وللسوابق في التاريخ ايمان
فحصن الحقيقة يبدو مورقا ابدا ... رغم الضغينة والاحقاد ريّان
وللحقيقة في الانسان مائرة ... يبدو لها في جبين الشمس عنوان
إنا لنطلق مصداقا لمبدانا ... وللخلائق فوق الارض آذان

ابو فراس